مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-016-001-008

الفكر السياسي في مُصنّف الرسالة الكامليّة في السّيرة النبويّة لابن النفيس (607-687هـ/1207-1288م)

Political Thought in Ibn al-Nafīs's Theologus Autodidactus (607–687 AH / 1207–1288 CE)

اسم ولقب المؤلف المرسل: جهيدة بوجمعة- Boudjemaa Djahida صص161- 186
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة التعليم العالي، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.
البريد الإلكتروني: boudjemaa.djahida@univ-oran1.dz

تاريخ استقبال المقال: 2025/12/31. تاريخ المراجعة: 2026/01/15.. تاريخ القبول: 2026/05/07.

الملخص: يُعد ابن النفيس علاء الدين (607-687هـ/1207-1288م) من أشهر علماء في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بكامِلها، فهو من أعظم الأطباء في تاريخ الطب العالمي بإنجازاته واكتشافاته الطبية التي أعظمها اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، كما كان عالماً موسوعياً أَلمّ بكل علوم عصره، وأنجز فيها كتباً وبحوثاً ورسائلَ التي منها *الرسالة الكاملية في السيرة النبوية*، التي كتبها في علم الكلام مدافعاً عن الرسول محمد ﷺ، وحبكها بحيث عرض فيها فكره السياسي الذي كان ذا صبغة إسلامية، معبراً عن الزمان الذي كان يعيش فيه، زمن الحملات المتكررة للحروب الصليبية في المشرق، وانهيار الخلافة العباسية على يد المغول سنة (656هـ/1258م).

تُلَخص أفكاره السياسية في مصنفه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية في عرض العوامل التي تُسهل قيام الدول، وعرض السياسة التي يجب أن تُتبع في الحكم. أما عوامل قيام الدول فهي: الإنسان اجتماعي ومدني بالطبع، والبداوة والخشونة، والعصبية، واعتدال المناخ. أما سياسة الدولة فهي: الخلافة، وسياسة الإكراه والتسلط من قبل الحاكم على الرعية، وأن تكون الدولة توسعية على حساب جيرانها، وأن يكون الحاكم قوياً لا يُغلب ويعتمد على وزير أمين، وأن يطبق فيها الدين حتى لا يعاقبها الله.

الكلمات المفتاحية: ابن النفيس- الفكر السياسي- علم الكلام- الرسالة الكاملية- السيرة النبوية.

Abstract: *Ibn al-Nafis is a prominent figure in Arab-Islamic civilization, renowned for his discovery of pulmonary circulation and his mastery of various sciences. Among his works is The Treatise of Kāmil on the*

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Prophet's Biography also known as Theologus Autodidactus, written as a defense of the Prophet Muhammad (peace be upon him). In this treatise, he presented his Islamic political thought, shaped by the historical challenges of his time, including the Crusades and the fall of the Abbasid Caliphate. His political ideas are summarized in presenting the factors that facilitate the establishment of states and the policies that should be followed in governance. The factors for state establishment include: humans being inherently social and civilized by nature, nomadism and toughness, tribal solidarity (ʿaṣabiyyah), and climate moderation. As for state policies, they include: the caliphate, the ruler's use of coercion and authority over the subjects, the state's expansion at the expense of its neighbors, the ruler being strong and invincible while relying on a trustworthy minister, and the implementation of religion to avoid divine punishment.

Keywords: *Ibn al-Nafis; Political Thought; ʿIlm al-Kalām; Theologus Autodidactus; Sīrah.*

المقدمة: يُعد علاء الدين علي بن الحَزم المعروف بابن النفيس من بين أهم العلماء الموسوعيين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فهو الطبيب الماهر في وصف علاجاته الناجحة ومصنفاته الغزيرة الممنهجة واكتشافاته التي غيّرت سيرورة الطب العالمي، فلقد أُعْتبر أعظم طبيب فيزيولوجي على الإطلاق في العصور الوسطى، وطبيب كحال مميز، ومُركب للأدوية الناجحة، وأول مَن اكتشف الدورة الدموية الصغرى، وأستاذ للطب ورئيس للأطباء، وهو لم يُبرع في الطب بفروعه المختلفة وتركيب الأدوية فقط، بل كان عالماً موسوعياً، وفقيهاً ومفسراً عقلانياً للقرآن والحديث، وإماماً شافعياً كبيراً، وأديباً وروائياً ولغوياً وفيلسوفاً، وعالماً في المنطق، ومفكراً سياسياً عرض أفكاره السياسية في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية بِحِبْكة مُتقنة عبرت على اتجاهه الإسلامي، وعن واقعه المعاش آنذاك، وجمعت بين الواقع والخيال، والإيمان الكامل بالإله والرسول، وضرورة الخضوع للحاكم.

للبحث في الموضوع نطرح الإشكالية التالية: *ما هو الفكر السياسي لابن النفيس الذي عرضه في مصنفه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية؟*

حتى يكون البحث دقيقاً علينا أن نجيب على التساؤلات التالية: ماهي الدوافع التي دفعت ابن النفيس لكتابة الرسالة الكاملية في السيرة النبوية؟ هل كان الفكر السياسي لابن النفيس في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية إسلامياً محضاً؟ هل ما جاء به من أفكار سياسية كان هو مصدرها الأول ولم تُعرف من قبل؟ هل يمكننا اعتبار ابن النفيس مفكراً سياسياً من الدرجة الأولى؟

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يهدف البحث إلى التعرف على الفكر السياسي الإسلامي الذي جاء به ابن النفيس في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية الذي لم يتعرض إليه أحدٌ من الباحثين "على حدّ علمي"، فما لفت أنظارهم في هذه الرسالة هو التتبع السيرة النبوية والبحث فيها، فالرسالة تبدو دفاعاً عن الرسول ﷺ فقط.

اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي لفهم الأحوال التاريخية في عهد ابن النفيس، كما اعتمدنا المنهج الفلسفي لدراسة الواقع فيما هو كائن لتَقويم الحالات السياسية، كما اعتمدنا أيضاً على المنهج الاستقرائي التحليلي للوصول إلى نتائج مرضية.

1- التعريف بابن النفيس ومصنفه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية

1-1 التعريف بابن النفيس: هو علاء الدين علي أبو الحَزم[1] القرشي[2] الدمشقي[3] المعروف بابن النفيس، ولد بدمشق أو قريباً منها حوالي (607هـ/1207م) في عهد الملك العادل سيف الدين الأيوبي (596-614هـ/1200-1218م)، عُرف بابن النفيس الحكيم، غير أن هناك إشارات تذكر أنه عُرف بلقب ابن النفيس بعد وفاته بعشرات الأعوام خطأً، وأنه لم يُلقب في حياته به، لا من قبل تلامذته ولا من قبل زملائه الأطباء اللذين عاصروه والذين جاءوا بعده.[4]

لا يُعرف الكثير عن حياة ابن النفيس وخاصة نشأته لأولى بدمشق، وذلك لقلة مَنْ ترجموا لحياته وإن وُجدوا فلقد ركزوا على فضائله، وإبداعاته العلمية التي رغم اتساعها وعظمتها اختزلوها فقط في اكتشافه للدورة الدموية الصغرى.

من الأخبار القليلة التي ذُكرت عنه أنه دَرس الطب في بيمارستان النوري[5] في دمشق، ومارس الطبّ ببراعة، واشتهر، فدعاه السلطان الكامل محمد الأيوبي (615-635هـ/1218-1238م) إلى مصر، فرحل إليها في (633هـ/1236م) فعاش في القاهرة طبيباً

1 -بن كثير أبو الفدا الحافظ، البداية والنهاية- مطبعة السعادة- القاهرة- 1358هـ- ج 13- ص 313.
2 -ابن العماد الحمبلي أبو الفلاح عبد الله- شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب- مكتبة القدس الأزهر- القاهرة-1351هـ- ج 5- ص 401.
3 -ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة- د. ت- ج 7-ص 377.
4 -يوسف زيدان- حي بن يقظان النصوص الأربعة، ومبدعوها- دار الأمين- القاهرة- 1998- ص 119.
5 -أنشأها نور الدين محمود بدمشق في القرن السادس الهجري مع مكتبة عامرة. ابن النفيس علاء الدين- الرسالة الكاملية في السيرة النبوية- تعليق عبد المنعم محمد عمر- مراجعة أحمد عبد المجيد هريدي- طبعة وزارة الأوقاف- مصر- 1987- ص 49.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ومدرساً للطب، ثم أصبح رئيساً لقسم الكَحالين (مرضى العيون) في بيمارستان الناصري[1]، ثم تولى رئاسة الأطباء في بيمارستان المنصوري[2]، وأصبحت له السلطة التامة في مراقبة ومحاسبة الأطباء، وتولى ما يراه زكريا الرازي أصعب الأشياء للطبيب، وهو خدمة الأمراء،[3] وذلك لتوليه منصب الطبيب الخاص للسلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م)، فهو يُعد واحداً من الأطباء الثلاثة البارعين والخارقين الذين عرفهم الطب العربي الإسلامي على امتداد تاريخه، مع كل ما عرفه هذا التاريخ الطويل من الأطباء النجباء الذين أبدعوا، فهو والرازي ت313هـ/925م وابن سينا ت428هـ/1037م استثناء[4]، بل أن هناك مَن رآه الأول بينهم، والأعظم في العلاج من ابن سينا، وذكر أنه لم يكن على وجه الأرض مثله من قبل[5]، فابن النفيس أعظم شخصية طبية في القرن السابع الهجري، وهو صاحب أضخم موسوعة طبية يكتبها شخص واحد في التاريخ الإنساني الشامل في الصناعة الطبية، وقد وضع مسوداتها بحيث تقع في ثلاثمائة مجلد، بَيض منها ثمانين، ومات قبل أن يُتممها، وتُمَثل هذه الموسوعة الصياغة النهائية والصبغة الأخيرة المكتملة للطب والصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية.[6]

كان ابن النفيس مستقلاً في تفكيره وأرائه، يرفض التقليد، وكان يبني نظرياته على المشاهدات والتجارب، لا يتردد في معارضة ونقد أراء كبار الأطباء حتى ولو كان جالينوس ت216م وابن سينا، وهذا ما قاده إلى اكتشافات طبية رائدة عالمية جعلته ينال احترام العالم إلى اليوم بجدارة، ومع أن أكثر كتاباته تعليقات على بعض مَنْ سبقوه من المؤلفين، إلا أنه كان يؤلف بسرعة وبدون رجوعه إلى الأصول لأنه غالباً ما يكون قد حفظها،[7] فلقد روي عنه أنه إذا ما أراد الكتابة توضع له أقلامٌ مبريَّةٌ عديدةٌ، ويدير وجهه إلى الحائط مُركزاً، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره دون العودة للمصادر، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ

1 -نسبة إلى مؤسسه الناصر صلاح الدين الأيوبي حوالي (578هـ/1181م) غليونجي بول- قطوف من تاريخ الطب- دار المعارف المصرية- القاهرة- 1986- ص 237.

2 -نسبة إلى مؤسسه السلطان المنصور سيف الدين بن قلاوون. المرجع السابق- ص 237.

3الرازي محمد بن زكريا-أخلاق الطبيب-تقديم وتحقيق عبد اللطيف محمد العبد-دار التراث- القاهرة-1977-ص 17.

4 -يوسف زيدان- إعادة اكتشاف ابن النفيس- دار النهضة المصرية- القاهرة- 1999- ص 5.

5 -السبكي تاج الدين- طبقات الشافعية الكبرى- المطبعة الحسينية- مصر- 1224هـ- ج 5- ص 129.

6 - يوسف زيدان- إعادة اكتشاف ابن النفيس- ص 6.

7 -غليونجي- قطوف من تاريخ الطب- ص 240.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

القلم وحفى رمي به وتناول غيره حتى لا يُضيع عليه الوقت في البَرْي، وكان واثقاً جداً بما يكتب، فيُذكر أنه كان يُكرر أن تصانيفه ستبقى حيّةً لمدة عشرة آلاف سنة، ولو لم يَكُن واثقاً من هذا لما كتب أبداً.[1]

لم يكن ابن النفيس طبيباً عبقرياً فحسب بل كان عالماً موسوعياً مُتقناً لجميع علوم عصره، غزيرَ الكتابة ودقيقَ البحث وخصبَ الإنتاج، فلقد كان إماماً شافعياً كبيراً يُسأل في المذهب ويفتي، ومفسراً للقرآن والحديث، وفيلسوفاً، وعالمَ منطق، وأديباً ولغوياً، وزيادةً على تدريس الطب كان يُدرس أيضاً اللغة والفقه في المدرسة المسرورية[2]، فلقد وصفه ابن عماد الحنبلي بأنه كان ماهراً في الطب وعلومه، وأنه كان فائق الذكاء، وصاحب عقل خارق،[3] ووصفه زميله في الدراسة ابن أبي أُصيبعة (600-668هـ/1203-1270م) وصفاً جميلاً حيث شبهه بالبحر الواسع في فضله، والجبل الشامخ في علومه، وأنه موسوعي وجامع لكل العلوم والفنون بإتقان، ولو اكتفى فقط بشرح كتاب القانون لابن سينا لعُدى عبقرياً وعظيماً، فما بالك بالمصنفات العديدة والغزيرة والمتنوعة التي كتبها، والتي عبرت على رجاحة عقله، ودقة أفكاره، وسعة علومه، والتي انتشرت في البقاع.[4]

لقد ضاعت الكثير من مصنفات ابن النفيس ولم يصلنا إلا القليل منها، أهمها:

- **شرح تشريح القانون:** وقد شرح فيه باب التشريح من كتاب القانون لابن سينا ت (428هـ) والذي كان قد وافق ما قاله جالينوس ت (216م) من قبل في القول أن القلب مكون من ثلاثة بطون، بطنين كبيرين وبطن كالوسيط ليكون له مستودع غذاء يغتذى به... ومعدن روح يتولد به... ومجرى بينهما، وذلك المجرى يتسع فيه عند تعرض القلب، وينضم عند تطوله، فعارض ابن النفيس هذا الرأي حين أثبت بالتشريح أن الدم يذهب من البطين الأيمن عبر الوريد الشرياني

1 -عيسى أحمد بك- معجم الأطباء من سنة 650هـ إلى يومنا هذا- مطبعة فتح الله إلياس تربي وأولاده- القاهرة- 1942- ص 295.

2 -منسوبة للأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادري، تأسست في (604هـ). النعيمي عبد القادر الدمشقي- الدارس في تاريخ المدارس- إعداد وتقديم عمار محمد النهار- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- سوريا- 2014- ص 94.

3 -شذرات الذهب- ج 5- ص 401.

4 -لم يذكر ابن أبي أصيبعة ابن النفيس في كتابه المنشور عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، وما ذُكر وُجد في مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق. ابن النفيس علاء الدين- الرسالة الكاملية في السيرة النبوية –تعليق وتحقيق عبد المنعم محمد عمر- مراجعة أحمد عبد المجيد هريدي- وزارة الأوقاف- القاهرة- ص 24- نقلا عن مقدمة المحقق.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إلى الرئة ليتنقى بها ويُلطف جرمه ثم يعود من الرئة إلى البطين الأيسر وقد لطف جرمه وخالطه الهواء.

لقد ظل هذا المصنف منسياً إلى أن عثر عليه محي الدين التطاوي في(1924) في مكتبة ببرلين، وجعله موضوعاً لنيل شهادة الدكتوراه، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة، لأن ابن النفيس شرح فيه الدورة الدموية الصغرى، أي الدورة الدموية الرئوية[1]، والملاحظ أن ابن النفيس شرح الدورة الدموية أيضاً في الرسالة الكاملية.[2]

- **الكتاب الشامل في الطب:** وهو موسوعة علمية هائلة سماها الشامل في الصناعة الطبية، كان ينوي أن يجعله في 300 مجلداً، كل مجلد يتناول موضوعاً خلال ثلاثين سنة، لكنه أتم ثمانين مجلداً منها فقط.

- **موجز القانون:** وهو موجز لقانون ابن سينا، يقع في خمسة أجزاء، وهذا الكتاب هو مراجعة نقدية علمية لكتاب القانون لابن سينا، وهو مختصر لكل فروع الطب.

- **كتاب المُهذب في الكحل:** ذاع هذا الكتاب كثيراً في زمانه، هو موجود مخطوطة في مكتبة الفاتيكان، وهو تقرير شامل عن معرفة العرب الكاملة في طب العيون، عَرّف فيه عدة أمراض وأعطى علاجها.

أما المصنفات غير الطبية، فمنها:

- طريق الفصاحة
- شرح كتاب التنبيه لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي
- شرح الوريقات في المنطق
- مختصر في علم أصول الحديث
- الرسالة الكاملية في السيرة النبوية.[3]

عاش ابن النفيس طوال حياته رفيعَ المقام محترماً مطيعاً لربّه أميناً لدِينه وبحوثه

1 -ابن النفيس- الرسالة الكاملية- ص 64.

2 -نفسه- ص 165.

3 -ابن النفيس- الرسالة الكاملية- ص 47 وما بعدها. بركات محمد مراد- ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية- دار كتب عربية للنشر- القاهرة- د. ت- ص 38.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وعلاجاته وطلبته، لم يهتم في الدنيا بغير العلم والتَعَبد، ولم يفكر لا في الزواج ولا في الأبوة حتى لا يبعدانه عن شغفه، كسب أموالاً طائلة في حياته بنى بها بيتاً فخماً أوْقفه وأمواله وكتبه وكل ما ملك لبيمارستان الناصري.

توفي ابن النفيس بالقاهرة في (21 ذي القعدة 687هـ/18 ديسمبر 1288م) بعد مرض شديد دام ستة أيام، نصحه بعض أصدقائه بتناول شيئا من الخمر دواءً لكنه عارضهم وأبلغهم أنه لا يلقى الله وفي بطنه بعض الخمر حتى ولو أعاد له صحته، وأطال عمره[1]، مع أنه كان قد ذكر أنه لا يُمكن الاستغناء عن الخمر في حفظ الصحة لأنه يُبعد ويعالج الكثير من الأمراض[2]، فخشية ابن النفيس من الله كانت أعظم من شفائه بما حرمه على عباده.

2-1 تعريف بمصنف الرسالة الكاملية في السيرة النبوية: هي رسالة كتبها ابن النفيس في علم الكلام يشارُ فيها إلى القضايا العقائدية، دافع فيها عن الإسلام ونبوة محمد ﷺ بطريقته التي لم تكن معتادة من قَبله، بدّت غير واضحة المعالم، ولذلك صُنفت على أنها قصة أو رواية أو عرض لمرحلة من التاريخ الإسلامي السُني حسب أهل السنة والجماعة أو تحليل لِما ورد في السيرة النبوية، أو رسالة في فلسفة التاريخ، وهذا ما جعل المستشرق سارتون الذي على ما يبدو لم يستوعب جيداً ما في الرسالة، يذُمَها ويرى أن ابن النفيس كان رائداً من رواد التقهقر حينما بدأ المسلمون في الضعف، وبدأ وجودهم وحضارتهم في أُفول، حيث نَمّى غروره بعودة مآثرهم، فكتب هذا الكتاب ليعرض الأحداث التي مر بها المسلمون في تاريخهم، والتي رآها قدرهم، ليقول أنه لم يكن بإمكان التاريخ الإسلامي أن يسير على غير ما رأيناه من أحداث بحُلوها ومُرها، ولا يلوم أحداً على ما وصلوه.[3]

واصل المستشرق سارتون ذَمَه لابن النفيس في الرسالة الكاملية وذكر أنه ما يعيشه ابن النفيس أوْهاماً جعلته يعتقد أن الله يفضلهم (أي المسلمين) على غيرهم، ويَرْعَاهم دون الأمم الأخرى. ذلك لأنه يرى أنه يجوز أن تكون أمة محمد عند الله مُبجلة.[4]

1-ابن النفيس- ص 27.
2 -نفسه- ص 220.
3 -غليونجي بول- ابن النفيس طليعة العهد العلمي في الطب- وزارة الإعلام الكويتية- الكويت- د. ت- ص 147.
4 -ابن النفيس- ص 223.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

لم يُعجب سارتر بتبريرات ابن النفيس للنزاعات على الحكم التي حدثت بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ، والتي ظهرت في عدة مواقع في الرسالة أرجع ابن النفيس سببها إلى انقسام ملّة الرسول محمد ﷺ إلى طوائف عديدة تختلف في الأصول الدينية والفروع.[1]

لم يختلف المستشرق غليونجي الذي شُغف بشخصية ابن النفيس وعِلمه عن الرأي السابق، بل كان أكثرَ صرامةً منه حيث رأى أن تصنيفات ابن النفيس في غير الطبّ لم تكن مميزةً، ولم يكن فكرُه ناضجاً فيها، كما لم تكن أفكارُه جديدةً وخاصةً به، فكتابه الذي أسماه بالرسالة الكاملية أو فضل بن ناطق لم يكن سوى معارضة لرسالة ابن سينا حي بن يقضان[2]، ويواصل ويذكر أن ابن النفيس رغم عقليته العلمية، ومنهج الشك الذي كان يتبعه في بحوثه إلا إنه لم ينحرف عن التعاليم الدينية المستقيمة، وأفصح عن إيمانه التام بها، وتقَبل قَضايا دينية بدون بحث، وهذا شأن أغلبية المعنيين بالعلوم إذا تحدثوا عن الدين.[3] على ما يبدو لم يأت النقد من هذين المستشرقين فقط وهذا ما نفهمه من يوسف زيدان أن بعض المستشرقين انتقدوا تبرير ابن النفيس أحداثَ تناحر المسلمين على السلطة، مدللاً على أن ما وقع في التاريخ الإسلامي كان نتيجة لمنطق معين تمليه ضرورة الأشياء.[4]

لم يأت النقد من المستشرقين فقط بل حتى مُحقق الرسالة الكاملية استغرب بعض ما كتبه ابن النفيس، وذكر أن الحروب والنكبات التي كان يعيشها العالم الإسلامي على يدّ التتار والصليبيين في عهده أثرت عليه سلباً، وجعلته يُخطئ ولا يعتمد المنطق السليم في أفكاره، ويتسرع كثيراً في أبحاثه، ولذلك وجه بطل قصته فضل بن ناطق إلى أن يحسم سبب ما وقع فيه المسلمون من مآسي إلى عصيان الله في مخالفتين وهي شرب الخمر واللواط[5]، وتحيّر المحقق كثيراً من تبرير ابن النفيس لهما رغم أنه صادقُ التدين، وعالمٌ بحرمانيتهما في الإسلام. أما الخمر فبرره بأنه يحفظ الصحة ويُبعدُ الكثير من الأمراض، أما تبريره للواط الذي رآه منتشراً في الملة، فلعدم الإختلاط وخروج النساء تطبيقاً لشريعة محمد ﷺ، وصعوبة الزواج لكثير

1 -نفسه- ص 218.
2 -نفسه- ص 146.
3 -نفسه.
4 -يوسف زيدان- حي بن يقظان - ص 129.
5 -ابن النفيس- ص 124.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

من الرجال، وخروج الرجال للغزوات والأسفار دون نسائهم ما يجعلهم يعاملون الرجال الذين يشبهون النساء في الجماع لكسر شدة الشبق الجنسي .[1]

ما يُلاحظ أن معاصري ابن النفيس مدحوا المصنف وافتخروا به ورأوا أنه نصر الإسلام وأهله والشريعة ونبوة محمد ﷺ، وأُعجبوا كثيراً بدقته في البحث الطبي الفيزيولوجي، ما جعلهم يؤكدون براعة عقله، وتمكنه الكامل من العلوم العقلية[2]، والظاهر أن تقييم المصنف في زمانه يختلف عن التقييم الذي ظهر عند البعض في الزمن الحديث، ففي زمانه كان النقد ينحاز دائماً لنصرة الدين في كل الظروف.

تبدأ رسالة ابن النفيس بقوله: قال الفقير إلى الله تعالى علي بن أبي الحزم القرشي المتطبب... فإن قصدي في هذه الرسالة، اقتصاص ما ذكره فاضل بن ناطق عن رجل المسمى بكامل فيما يتعلق بالسيرة النبوية والسنة الشرعية، على طريق الإجمال، ملتزماً ترك الإسهاب، مُعرضاً عن الإغماض، وموضحاً للمطالب بقدر الإمكان، مُرتباً كلامي على أربعة فنون:

الفن الأول، في بيان كيفية تكون هذا الإنسان المُسمى بكامل، وكيفية وصوله إلى تعرف العلوم والنبوات.

الفن الثاني، في كيفية وصوله إلى تعرف السيرة النبوية.

الفن الثالث، في كيفية وصوله إلى تعرف السُنن الشرعية.

الفن الرابع، في كيفية وصوله إلى معرفة الحوادث التي تكون بعد وفاة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، وعليهم أجمعين.[3]

تُلخص هذه الرسالة فيما يلي: يولد بطلُ الرسالة المسمى كامل من الطبيعة بدون أب وأم إنما يتكون في مغارة مجهولة في جزيرة معزولة معتدلة الهواء، غنية بالأشجار والثمار المتنوعة بعد سيل شديد من الأمطار غمرها، وأغرق المغارة، فتفاعل فيها التراب مع مكونات أخرى، وبعد وقت خرج الطفل، كما يخرج الفرخ من البيضة، ثم وبعد وقت لا يُحصى خرج من مغارته ليرى الحياة خارجها، فعرف الطبيعة ودور حواسه في إدراك ما يدور حوله، ثم أخذ يشق بطون

1- نفسه- ص 221.

2 -العمري شهاب الدين- مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار- مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 99 م تاريخ- ج 7-ص 225.

3 -ابن النفيس- ص 149.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الحيوانات وصدورها ليتأمل ما فيها، وانتقل بعد ذلك إلى دراسة النباتات والظواهر الطبيعية والأجسام السماوية وحركاتها، وانتهى إلى أنه لابد أن يكون للأجسام والظواهر الطبيعية خالق هو الله الخالق.

بعد وقت ألقت الرياح سفينةً فيها خلق كثير على سواحل الجزيرة، فقدموا له طعاماً مطبوخاً وثياباً، واجتهدوا في تعليمه اللغة ثم أخذوه معهم، فأدرك أنه لا بد أن يكون الإنسان مدنيا يعيش في جماعة بينها تعاملات ويحكمهم حاكماً يحكم بشرع الله تكون له الطاعة، وهذه الشريعة لا بد أن يكون قد أتى بها نبياً من عند الله، ثم فكر في كيف ينبغي أن يُربى هذا النبي بعد مولده، ثم تتوالى فصول الرسالة يتعرف كامل على الحوادث التي وقعت منذ المنازعة على الخلافة بين أصحاب الرسول بعد وفاته حتى هجوم المغول.

قصة الإنسان الذي يولد في جزيرة معزولة بطريقة ما وتتطور إدراكاته إلى أن يصل وحده بأن للكون خالق يتحكم فيه ظهرت في المدرسة الفلسفية في الإسكندرية القديمة في نصوص قصصية متعمقة في الرمزية لكنها نُسيت مع أُفول تراث الإسكندرية القديم، لتُعرف عند ابن سينا الذي كان قد تعمق في التراث الفلسفي القديم، وأعطى عنواناً لقصته حي بن يقظان، بطل القصة[1]، كتبها وهو سجينٌ في قلعة بالقرب من همذان[2]، بصيغة فلسفية، اتبع فيها أسلوب الرمز حتى أصبحت صعبةَ الفهم، ثم انتشرت في التراث العربي الإسلامي، ولقيت رواجاً عند ابن الطفيل ت580هـ/1185م الذي أعاد كتابتها محافظاً فيها على اسم حي بن يقضان، وصاغها بطريقة روائية متفلسفة، كما أُعجب ابن السهروردي ت587هـ/1191م الذي أعاد صياغتها تحت عنوان الغُربة الغربية، بنظرة صوفية، أماعند ابن النفيس فقد وردت تحت عنوان الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، أو فاضل بن ناطق، كإشارة للفضيلة والنطق، والعقل والمنطق، الذي يتميز بهم راوي الرسالة الخيالي عن الرجل المسمى كامل، وصاغها بمنطق علم الكلام.

تَكمن قيمة الرسالة الكاملية في السيرة النبوية في عَرض ابن النفيس بعض اكتشافاته الطبية، وأهمها اكتشاف كامل بطل قصته للدَوْرَة الدموية الصغرى حينما بدأ يشُق بُطون

1 -يوسف زيدان- حي بن يقظان- ص 5.
2 -ابن النفيس- الرسالة الكاملية- ص 75.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الحيوانات التي يتمكن من إمساكها أو التي يصادفها ميتة، فلقد أدرك كامل وجود القلب في صدر كل ما عاينة من أجساد الحيوانات المختلفة، به بُطَيْن أَيْمَن مملوء بالدّم، وبَطَيْن أَيْسَر مملوء بالروح، أي الأوُكسيجين، وحينما ينقبض البُطَيْن تُزرع الروح في الشَرَايين إلى كل أعضاء الجسم، ثم ينبسط من جديد فتعود الروح إليه، فيجذب الهواء من الرئة التي تجذبه من الخارج عن طريق الأنف والفم ماراً في الحنجرة وقصبة الرئة إلى تجاويف الرئة ثم يخرج الهواء الساخن عند انقباضها، أي الرئة، وانقباضها وانبساطها تتحكم فيهما عضلات الصدر، ولذلك ينقبض الصدر وينبسط لتتم عملية التنفس.[1]

لقد كتب ابن النفيس الرسالة الكاملية ليعارض ما جاء به ابن سينا في حي بن يقضان، الذي رأى أن العقل الإنساني وحده قادرٌ على الوصول إلى وجود الله بدون ضرورة وجود الأنبياء والرسل، فالعقل يستطيع وحده أن يصل إلى ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، في حين يعارض ابن النفيس ذلك ويشترط وجود المرسلين من الله، ويرى أن لبَعث الرسول محمد ﷺ ثلاثة فوائد وهي: تبليغ الناس شرع الله عز وجل، وتعريفهم بجلال الله تعالى وصفاته، وتعريفهم بدار الآخرة وما موجود فيها من السعادة والشقاوة.[2]

يذكر ابن النفيس أنه مَن يُبطل فائدة الرسول محمد ﷺ ويخالفه، ويعصي الله سبحانه، يُسلط الله عليه العقوبات التي لا يمكن أن تكون عقوبات طبيعية كالطوفان والخسف ونحو ذلك لأنها تنافي عظمة الرسول ﷺ، إذْ يجوز أن تكون أمة محمد مبجلةً عند الله تعالى دون الملل والأمم الأخرى، لذلك تُحصر العقوبات في سفك الكفار دماء المسلمين وقتلهم، ويراها عقوبة لا تحُط من قدر الرسول ﷺ.[3]

لقد عارض ابن النفيس نظرية التصوف الذي جاء بها ابن سينا أيضاً، ومفادها أن العقل إذا سيطر على الشهوات والغرائز والملكات الإنسانية الأخرى، ألزم الإنسان أن يتوغل في الرياضة الروحية ومجاهدة النفس، واستطاع العقل وحده أن يرى المعارف، والكشف عن

1 -نفسه- ص 165.
2 -ابن النفيس- ص 165.
3 -نفسه- ص 223.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

معميات ما وراء الطبيعة.[1]

يمكن أن نقسم هذه الرسالة إلى أربعة أربعاء: أما الربع الأول فهو خاصٌ بولادة كامل وهذا الربع يتشابه مع قصة حي بن يقظان لابن الطفيل، وهو تشابه ابتدائي، لكن ابن النفيس جعل ولادة كامل ولادةً ذاتية؛ ثم رُبعان خَصّهما بعرض السيرة النبوية سرداً وتحليلاً معتمداً على علم الكلام؛ أما الربع الأخير فلقد خَصّه في عرض الواقع الإسلامي ما بعد وفاة الرسول ﷺ.

2- الفكر السياسي لابن النفيس في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية

2-1 عوامل قيام الدول كما رآها ابن النفيس في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية: يرى ابن النفيس أن هناك عوامل تساعد على قيام الدول بعضها طبيعي ويكون تحصيل حاصل، والبعض الآخر يتدخل فيه الإنسان بمجهوده، وهي: طبع الإنسان الاجتماعي والمدني، والعصبية، والبداوة والخشونة، والإقليم المعتدل.

أما طبع الإنسان، فهو ميال للجماعة ثم لقيام دولة، وهو ما يُعَبّر عنه "الإنسان اجتماعي بطبيعته" و"الإنسان مدني بطبيعته" أي أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا وحده، فلابد من جماعة، ثم لا بد من دولة يُسيرها حاكم يمنع المنازعات، فيقول أن كامل بطل القصة عندما عرض عليه البحارة أن يذهب معهم وافق مباشرة، فأخذوه إلى مدينة قريبة من الجزيرة، وأكل من أكلهم، ولبس من لبسهم، فأعجب بذلك كثيراً، وتذكر حاله الماضي التعيس، كيف كان يعاني من البرد والحر دون ملابس، وكيف كان يقتصر على أكل الأغذية من الطبيعة فقط، وكيف كانت الحيوانات تهشه في كل وقت، فعلم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده، فلا بد أن يعيش مع الجماعة، حتى تدافع عنه، ويصل إلى احتياجاته، فالجماعة متعاونة لتسهيل الحياة، فبعضها يزرع، وبعضها يُخيط، وبعضها...، وأدرك أن الإنسانَ مدنيٌ بطبعه.[2]

يواصل ابن النفيس في عرض نظريته على لسان كامل بطل قصته الذي رأى كي تصبح الحياة طيبة ولا يحدث بين الناس منازعات وضياع الحقوق لا بد أن يحكمهم حاكم يطبق شرع الله، ويكون مبعوثاً من الله حتى يطيعه الجميع ولا يعارضه أحدٌ، ويستتب الأمن والآمان.[3]

1 -نفسه- ص 81.

2 -نفسه- ص 161.

3 -ابن النفيس- ص 160.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

فالحكم عند ابن النفيس لابد أن يكون تيوقراطياً، والحاكم فيه مختار من عند الله قطعاً.

لقد وردت هذه النظرية عند حكماء اليونان، وكانت دارجة في الفكر السياسي اليوناني، وقد تكون قد ظهرت قبله لكن التاريخ لم يسجلها، فها هو سقراط ت (399 ق م)، يقول كما ذكر عنه أفلاطون ت (347 ق م) وذلك لأن سقراط لم يترك كتباً بأن الدولة قامت في التاريخ لأن الإنسان مهما كان قوياً لا يستطيع أن يسُد كل احتياجاته بنفسه، وللإنسان احتياجات كثيرة لا تعد ولا تحصى لابد أن يتعاون على توفيرها الكثير من الناس يتبادلونها فيما بينهم حتى تصبح الحياة مستقرةً، والكل يعلم أن الفائدة عائدة له سواءً أعطى أو أخذ، وأول هذه الاحتياجات الأكل ثم االمسكن ثم الكسوة، وعندها يُطلق على هؤلاء الجماعة اسم مدينة ودولة.[1]

ذكر أرسطو ت322 ق. م النظرية أيضا قائلا بأن الإنسان اجتماعيً بطبعه، والإنسان الذي يبقى بمفرده متوحشاً، فهو إما إنسان ساقط أو إنسان أسمى من النوع الإنساني.[2]ويواصل ويذكر أن الإنسان الذي لا يستطيع أن يعيش في الجماعة، ولا يستطيع أن يُلبي احتياجاته، ولا يستطيع أن يكون عضواً في الدولة، فهو إما إلاهٌ أو بهيمةٌ.[3]

لقد انتشرت النظرية بدورها من حكماء اليونانيين إلى العرب المسلمين ومن بين هؤلاء ابن خلدون الذي ذكرها بعد ابن النفيس في فصل: " في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات الأولى: في أن الاجتماع للإنسان ضروري". فيذكر أن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له من وجود اجتماع الذي يطلق عليه حكماء اليونان المدينة، وهو ما أطلق عليه ابن خلدون العمران، فالله خلق الإنسان وركبه على وضع لا يستطيع العيش إلا بوجود الأكل الذي لا يستطيع مهما كانت قوته أن يوفره بنفسه وحده، فلنفترض أنه في يوم واحد يحتاج إلى كم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل عليها إلا بعلاج الكثير من الناس، من عاجن وطاحن وطابخ، وهؤلاء يحتجون إلى أوان وآلات ومواعين يصنعها الصانع من حداد ونجار وفاخوري.[4]

1-أفلاطون- الجمهورية- ترجمة حنا خباز- مؤسسة هنداوي- القاهرة- د. ت- ص 62.
2- أرسطو- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد- منشورات الجمل- بيروت- 2009- ص 99.
3- نفسه- ص 100.
4 -ابن خلدون عبد الرحمان- المقدمة- مطبعة دار القلم- تونس- 1984- ص 77.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يواصل ابن خلدون في عرض النظرية ويذكر أن الاجتماع البشري ضروري، وهو ما أسماه العمران الذي يجب أن يحكمه حاكم يرجعون إليه، يقضي على النزاعات، ويحمي المظلوم، ويجب أن يكون حكمه مستمداً من شرع الله ويكون نفعه في الدنيا والآخرة، أو يكون حكمه مستمداً من سياسة عقلية تحمي مصالح الناس وتنفعهم في الدنيا فقط، وهو يرى كلا الحكمين صالحين لكنه يفضل دائما حكم الخلافة.[1]

يرى ابن النفيس أن الدولة تقوم بالعصبية، وأطلق عليها "طائفة التعصب" التي لا يصل الخليفة إلى الخلافة إلا بطائفة تتعصب له وتُسانده وتدعمه وتناصره في السلم والحرب، وإلا سوف لن يصل أبداً، فقال في الفصل الثاني المُعنون بـ: "في تعرف كامل لما يقع بعد موت هذا النبي ﷺ من تنازع ومقاتلة"، لا يصل الخليفة للخلافة إلا بوجود طائفة تنحاز إليه وتحارب مخالفيه، ولكرة الراغبين في الخلافة كثرت الأهواء والانتصارات في ملة محمد ﷺ بعد موته، ولأنه النبي الأخير ولا نبي بعده، فلابد أن يُحفظ الدين بعده من قبل علماء الأمة الذين اختلفوا في الفكر والرأي وبالتالي في نصرة الخلفاء.[2]

يواصل ابن النفيس ويُبرر رأيه أكثر ويذكر أن طباع الناس ليست واحدة، فهي كثيرة الاختلاف، ولذلك لا بد أن تختلف الآراء والأقوال والمذاهب في دين الرسول محمد ﷺ، ويقوم كل واحد يدعو الناس إلى رأيه ومذهبه رغبةً في الرياسة. وهنا يعيد ابن النفيس ويؤكد أنه كان يجب أن تنقسم ملة محمد ﷺ إلى طوائف مختلفة في أصول الدين وفروعه، وكان لابد أن يتعادون ويتنازعون فيما بينهم، فيجب أن تتعصب وتنصر كل طائفة إماماً وتعظم قوله وفعله، وإذا ما وصل إلى الخلافة عليه أن يفتح المدارس لعلماء طائفته لتنشر أفكارها بين السكان، ويجعل لهم ما يُسهل جلب المال إليهم.[3]

لقد أسهب ابن خلدون بعد ابن النفيس في الحديث عن العصبية جعلها أساساً لبناء الدولة والسيطرة عليها أيضاً، وذكر أن المُلك هو غاية العصبية، وإنها إذا ما بلغت غايتها حصل للقبيلة الملك، إما بالاستبداد أو بالمُظاهرة، وإذا ما حصل لها التغلب على قومها، تسعى للتغلب

1- نفسه- ص 368.
2 -ابن النفيس- ص 218.
3- نفسه- ص 219.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

على القبائل والأمم الأخرى القريبة منها، والتي تلتحم بها، فتزداد قوتها بها، وتزداد تغلباً على الأمم الأبعد فالابعد وتلتحم بها، وتزداد قوتها أكثر فأكثر إلى أن تبلغ هرمها.[1]

يُعَرف ابن خلدون العصبية على أنها التناصر والنعرة[2] التي بها تظهر في الجماعة الحماية والمدافعة والمطالبة وغير ذلك من الأمور التي يجتمعون عليها لمصلحتهم[3]، ولا يتحقق هذا إلا بوجود عصبية قوية ومهيبة تجمع جماعة من دم واحد كما تجمع أيضاً جماعات من غير الدم الواحد التي تتمثل في الحلف والولاء والجورة والنسب والقرابة والصداقة.[4]

الواقع أن مفكرين عرب ومسلمين تحدثوا عن العصبية بمصطلح العصبية أو الشوكة ودورها في تكوين الدول من قَبل ابن النفيس وابن خلدون، ومن بين هؤلاء الجاحظ ت255هـ/869م في كتاب التاج في أخلاق الملوك في مواقع كثيرة، فذكرها بمعنى قوة الدولة وثباتها واستقرارها، وبالشوكة أيضاً، ومن بين ما ذكر أنه بلغ ملك الفرس بهرام جور أن منطقة من المناطق في أطراف الدولة قد غلب عليها العدو، واستهانها، واستخلف بها، بعد أن قوي واشتدت شوكته بين أتباعه ومناصريه فانتظر الوقت المناسب واسترجعها إلى دولته.[5]

لقد تحدث المسعودي ت346هـ/957م عن العصبية باسم العصبية والتّحزّب[6] والشوكة[7] في مناطق كثيرة في مصنفاته، وكان يعني بها دائما النعرة والمناصرة التي تؤدي الى القوة والثبات في السيطرة.

في جهة أخرى يُلَخّص ابن النفيس العصبية في الجند والسلطان الشجاع والمال، ويذكر أن الغلبة تكون إذا ماتوفر أمران وهما الجيوش القوية والسلطان الشجاع، وبدون ذلك لا يتمكنون من مقاومة هؤلاء الكفار[8]، وطبعاً لا يكون النصر إلا بكثرة الإنفاق على الجند الذي

1-المقدمة- ص 186.
2- نفسه- ص 180.
3- نفسه- ص 185.
4- نفسه- ص 174.
5-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر- كتاب التاج في أخلاق الملوك- تحقيق أحمد زكي باشا- المطبعة الأهلية- القاهرة- 1913- ص 56.
6-المسعودي أبو الحسن- التنبيه والأشراف- صححه وراجعه عبد الله اسماعيل الصادق- دار الصاوي للطبع والنشر- القاهرة- د.ت- صص 82-84.
7- المسعودي- مروج الذهب ومعادن الجوهر- ج 1 ص: 114 وج2 ص: 162. التنبيه والأشراف، ص: 307.
8 -ابن النفيس- ص 227.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يجب زيادة عدده، فتزداد الحاجة إلى الأموال التي يجب أن تؤخذ قسراً من أهالي البلاد، أكثر بكثير عما كان يؤخذ منهم من قبل، مجبرون ولا مخيرون،[1] فإذا ما زاد عدد الجند يجب أن تزيد نفقاته التي تصبح مسؤولية أهل البلاد.[2]

لقد تناقض ابن خلدون أيضاً في تعريف العصبية التي كانت اللحمة بالدم والتعايش ليحصرها في الجند والمال فقط، حيث ذكر، في فصل " في كيفية طروق الخلل للدولة" أنه يُشترط لبناء الدولة أساسان، الأول هو الجند والذي يُعبر عنه بالعصبية والشوكة، والثاني هو المال الذي هو قوام الجند وأساس الملك.[3]

لقد حصر الطرطوشي ت (520هـ/1126م) العصبية في الجند والمال أيضاً قبل ابن خلدون واعتبرهما أس الدولة، وذكر أن الملك هو بناء، والجنود أساسه، فإذا كان الأساس قوياً عاش الملك ودام، وإذا ضعف انهار البناء، فالملك بالجند، والجند بالمال.[4] فالطرطوشي رأى أن الشوكة هي استمرار الدولة بالمال والجند.

يتحدث ابن النفيس عن أهمية البداوة والخشونة والتوحش لقيام الدول، فالأمم الغالبة هي التي تملك هذه الصفات، فاشترط ألّا يكون السلطان من أهل المدن، فأهل المدن ضعاف في رأيه ولينون، لذلك لابد أن يكون السلطان من أهل البَّر، فأهل البرّ أقوياء القلوب شجعان... أخلاقهم حادة[5] وهنا يوصي ابن النفيس الملك بأن يقاتل جميع من استطاع أن يقاتلهم ممن جاوره من الأعداء.[6]

يواصل ابن النفيس رأيه ويذكر أنه لا بد على السلطان أن يكون قوياً شديد البأس حتى يكون قادراً وحده على لقاء جيش كبير من العدو، ويجب أن يُشتهر بين الناس والملوك بصفة الشجاعة والاقبال وسُميّ الأخلاق، فلذلك يجب أن يكون قوي القلب قاسياً معادياً

1 -نفسه- ص 228.
2 -نفسه- ص 229.
3 -المقدمة- ص 357.
4 -الطرطوشي أبو بكر الفهري- سراج الملوك- حققه وعلق عليه ووضع فهارسه فتحي أبو بكر- تقديم يوسف ضيف- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- 1994- ص 216.
5- ابن النفيس- ص 230 و231.
6- نفسه- 233.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

للرحمة، قادراً على إصدار العقوبات من قطع الأطراف والصلب والتسمير...، ولهذا يجب ألا يكون من أهل المدينة بل من أهل البّر الخشناء والشجعان.[1]

يضيف ابن النفيس لتأكيد نظريته في موضع آخر ويذكر أنه لا بد على السلطان أن يكون من البّراري الشجعان، لأن أهل المدن أقل شجاعة، وسكان البّراري يتنقلون كثيراً بين المناطق المختلفة والبعيدة على الخيول، مما يعلمهم القساوة والشجاعة.[2]

ما يُحير هنا أن ابن النفيس أعطى أوصافاً للسلطان تناسب أوصاف السلطان الظاهر بيبرس وقومه، فمن بين ما ذكر أنه يجب أن يكون السلطان شمالياً ومن شمال المشرق، -ذلك لأن بيبرس كان من أصل تركي قبجاقي من منطقة شمال البحر الأسود-، ويكون السلطان من أرض أولئك الكفار أو أرض قريبة منها، فيكون ضيق العينين، واسع الصدر، عظيم الهامة، ذا أكتاف عريضة، وساقين دقيقين، عيونه ليست شديدة السواد، ولا أنفه شديد الحدة، ولا جسمه عظيم، ويكون مزاجه حاراً حتى يكون جريئاً، ويكون لونه أحمر على الغمرة، وشعره كثيفاً لا صلع فيه، وتكون أخلاقه حادة إلى البطش، ولابد أن يكون كثير الحركة سريعاً .[3]

يواصل ابن النفيس في وصف الحاكم بنفس مواصفات السلطان بيبرس فيؤكد مرة أخرى أنه على عظام الصدر والرأس أن تكون دقيقة، وتكون العيون ضيقة بسبب كثرة رطوبة أدمغتهم التي جعلت أنفهم أفطس، ويجب أن تكون أعجزتهم كبيرة وذلك لركوبهم الخيل منذ الصغر ، فسكان البراري كثيري التنقل.[4]

وهنا نرى تملقاً من ابن النفيس للسلطان بيبرس مع أنه وُصف بالشهامة والكرامة وعُلو القدر والعقل العلمي المنطقي، والظاهر أن التملق للسلطان والحكام وأصحاب النفوذ كان سمة العصر، فها هو ابن خلدون يُنظر للتملق ويعترف أن لا اجتهاد ولا ذكاء ولا شهرة يصل إليها أحدٌ إلا إذا تملق.[5]

لا تختلف نظرية ابن النفيس السالفة عَن ما قاله أفلاطون الذي عبر قائلا أن الدول القوية

1- نفسه.
2-نفسه- ص 225.
3 -نفسه- 231.
4 -ابن النفيس- ص 225.
5 -المقدمة- ص 472.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تبدأ بخشونة الطباع واستعمال الحقائق التي قد تكون دينية، والطاعة الكاملة لله تعالى وللحكام، وعندما تقضي على أعدائها، وتؤمن أهلها، ويستقر وضعها، تدخل حياة النعيم ورفاهية العيش، فتنشغل بالترف وحياة النعيم، وتبتعد عن الانتصارات، فيعم الهزل فيهم ، وتبتعد عن الجد، فيطمع فيها، ويستولون عليها، فيزول أمرها وينتهي قيامها.[1]

لقد وردت فكرة الأمم المتوحشة أقدر على التغلب عند المسعودي في مروج الذهب" في مواقع كثيرة من بينها: عند حديثه عن بني حَضورَا (قبيلة بائدة) حيث يذكرهم أنهم كانوا أمة عظيمةً شديدة البطش ولذلك غلبت على ممالك ودول كثيرة.[2]

لقد أسهب ابن خلدون في نظريه الأمم المتوحشة والبدوية قادرة على التغلب على الأمم، ويؤكد أن التغلب يكون بالإقدام والبسالة، فالأجيال التي تكون غارقة في البداوة والتوحش تكون الأقدر على التغلب على سواها من الأمم.

يواصل ابن خلدون ويعطي أمثلة تدعم رأيه، ويذكر أن المضريين حينما كانوا في بداوتهم تغلبوا على حمير وكهلان الذين كانوا قد دخلوا مرحلة النعيم وأخذت ما كانوا يملكونه من الأراضي وغيرها، وتغلب المضريون أيضاً على قبائل بني ربيعة الذين استوطنوا مناطق من العراق وتنعموا فأرهقتهم وانتزعت ما كان بأيديهم، وقد استمرت بداوة بعض القبائل وتأخرت وهي قبائل بني طيء وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور فاستمر تغلبهم على الأمم، وذلك لأن البداوة أمسكت قوة عصبيتهم ولم تضعف لعدم دخولهم ترف الحياة ورغدائها.[3]

اشترط ابن النفيس الاعتدال في المناخ لقيام الدول والحضارات، ويناسب هذا الاعتدال خاصة الإقليم الرابع وما يقاربه، فكثرة البرودة والسخونة تؤثر سلبا على أمزجة الناس وطبائعها وإنتاجها، ويذكر أنه إذا ما تأكد ميل الشمس إلى الشمال والجنوب يتناقص دائما، فإذا بطل هذا الميل أصبحت الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء وما يقرب منه جداً، فيحدث في تلك البقعة حرارة شديدة جداً، وفي تلك البقاع التي لها عرض يُعتمدّ به

1 -الفارابي أبو نصر- الألفاظ الأفلاطونية الأفلاطونيات وتقويم السياسة الملوكية والأخلاق- صورة فتوغرافية لمخطوط العربية تحت رقم: 20، ص: 47 أ.

2-المسعودي- مروج الذهب ومعادن الجوهر- ج 2- ص 129.

3- المقدمة- ص 185.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

برد مفرط جداً، ويلزم ذلك أن تكون أكثر المواضيع خارجة جداً عن الاعتدال فلهذا تكون أمزجة الناس في أكثر البلاد رديئة فاسدة.[1] ولهذا تُفسد الأخلاق، ويكثر الشر، ويُفسد الزرع، ويكون الإنسان ضعيفَ القلب فيها، وتُفسد فيها أيضاً أمزجة الحيوانات، ويقصد هنا الإقليم الأول والسابع اللذان لا تقوم فيهما عمارة، وذلك لأن العمارة لا تقوم إلا في الأقاليم والبلدان المعتدلة.[2]

لقد وردت نظرية تقسيم العالم إلى سبع أقاليم وجعل الإقليم الرابع منه وما يجاوره معتدلا مناسبا لقيام الدول والحضارات في الفكر السياسي اليوناني كـ دوروتيوس ت (؟) لكنها عُرفت من عالم الفلك بطليموس القلوذي ت (150م) الذي أوردها في كتب عدة أشهرها في كتاب المجسطي. غير أن المسعودي نَسب فكرة تقسيم الأرض لسبعة أقاليم إلى هُرْمُس رمز الأسطورة اليونانية، حيث الإقليم الرابع، أو كما سماه بابل يقع في وسطها، والأقاليم الستة الأخرى كأنها دوائر تدور حول نفسها، ومساحة كل إقليم (700فرسخ في 700فرسخ)، وهذه الأقاليم هي: الأول: الهند، والثاني: الحجاز والحبشة، والثالث: مصر وإفريقيا، والرابع: بابل والعراق، والخامس: الروم، والسادس: يأجوج ومأجوج، والسابع: يوماريس والصين.[3]

لقد انتشرت نظرية الأقاليم السبع لبطليموس بين جُل الرحالة والجغرافيين العرب، وخاصة بعد انتشار ترجمة التراث اليوناني للعربية في بداية المئة الثالثة للهجرة. ومن هؤلاء: ابن الفقيه الهمذاني، في كتابه البلدان، وابن رُستة في الأعلاق النفيسة، وأبو زيد البلخي في كتابه صور الأقاليم السبعة، والمقديسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، والمسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر والتنبيه والاشراف، وإخوان الصفا في رسائلهم وابن خلدون في المقدمة وغيرهم من الجغرافيين والرحالة والعلماء، فالنظرية أصبحت من المُسلمات، وكل هؤلاء وغيرهم تكلموا على أثر الهواء في اختلاف أخلاق وسلوكيات البشر.

2-2 السياسة التي يجب أن تتبعها الدولة عند ابن النفيس في الرسالة الكاملية في السيرة النبوية: دولة ابن النفيس دولة دينية ثيوقراطية استبدادية وراثية، تكون ملكاً لحاكم قوي

1-ابن النفيس- ص 239
2-نفسه- ص 224.
3- المسعودي - التنبيه والاشراف- ص 29.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

شجاع قاسي القلب حتى يقيم العقوبات بلا رحمة على شعبه الذي ليس له حقوق، في حين يجب عليه قهراً (الشعب) أن يدفع الضرائب ونفقات الجيش التي تزداد في كل حين، وعلى الشعب أيضاً أن يحارب من أجل بقاء واتساع الدولة المطاطية الحدود التي يجب أن تتسع على حساب جيرانها، وابن النفيس يجعل الدولة ملكاً للسلطان الذي يجب على الرعية الخضوع له في كل ظروفه سواءً كان عادلاً أو ظالماً، وترضخ لعقابه الذي يتفنن في قساوته إذا ما عارضوه في قراراته.

يرى ابن النفيس أن الخلافة هي أفضل نظام للحكم وأنه لابد من وجود خليفة بعد الرسول ﷺ يدعو إلى دين الله ويدعو إلى التزامه وحفظه، وهذه المهام لا يقوم بها إلا الخليفة الذي يجب أن يكون في كل زمان، ولابد أن يكون ممن تعظمه الناس جداً، ولابد أن يكون بعد كل خليفة خليفةٌ آخر أي أن الحكم يكون وراثياً، ومن اختيار الخليفة لمَنْ يخلفه، والخليفة يجب أن يكون من آل محمد أو صحبته، مبجلاً ومعظماً بعد الرسول صلى الله عليه حتى يُعظمه الناس، وذلك لأن الرسول ﷺ عظيم وبالتالي أقاربه وأصحابه عظماء أيضاً، فلا بد أن يكونوا عظماء عند الناس أيضاً، فهم أولى بالخلافة فكل زمان،[1] ومع أنه أعطى أولوية الخلافة لأقارب الرسول ﷺ وصحابته إلا أنه امتنع عن ذكر مَنْ له الأولوية فيما بينهم.

يواصل ابن النفيس في عرض نظريته ويذكر أن الرسول ﷺ لم يكن من واجبه تعيين خليفة بعده، فلقد ترك هذا الأمر للناس، وترك لهم شرعاً يلزمهم به في كل أمورهم، ورأى أن بعض الناس يظلمون ولا يردعه الشرع وإنما يردعه الحاكم القاهر بقهره، المهاب والمطاع في دولته، وهو الملك، ويجب أن يكون في كل مدينة ملك، ويكون كل هؤلاء الملوك تحت خليفة واحد يكون نائب الرسول ﷺ في حفظ دينه.[2]

هنا يتصور ابن النفيس الدولة الإسلامية واسعة كما كانت في العصر الأموي والعباسي، حيث يجعل الخليفة على كل إقليم أو مدينة ملكاً أو قائم مقامه، أي والياً، ويجب ألا يحكم كما يريد، بل يجب أن يكون الحكم مركزياً في يد الخليفة.

يتوقع ابن النفيس الحروب التي كانت وتكون للوصول للخلافة، ففي طبع الناس حبّ

1-ابن النفيس- ص 216.
2- نفسه- ص 210.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الرياسة، فلابد وأن يقع بين الصحابة السابقين من التنازع والمخالفة تصل للمقاتلة والحروب فيما بينهم، وذلك للوصول للخلافة[1]، فما وقع من حروب في التاريخ الإسلامي بعد وفاة الرسول حسب رأيه "كان نتيجة لمنطق معين تمليه ضرورة الأشياء".[2]

لقد ظل ابن النفيس يرى الخلافة أحسن نظام للحكم رغم سقوطها في بغداد في (656هـ/1258م)، وتَفَتت العالم الإسلامي إلى دول حتى قبل سقوطها، وظهور ملوك وسلاطين، ورغم إعجابه بالسلطان الظاهر بيبرس القوي الذي يحكم مصر والذي قربه وجعله طبيبه الخاص. والواقع كلام ابن النفيس لا يعارض واقع دولة المماليك في مصر آنذاك، فلقد أحضر السلطان بيبرس أحداً من سلالة الخلفاء العباسيين وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد (660-661هـ/1261-1262م) وبايعهُ خليفةً عباسياً بعد سقوط بغداد (656هـ/1258م) ليكون خليفةً صورياً لا يتدخل في الحكم، وتتواصل الخلافة العباسية في الظل حتى ينال بيبرس الشرعية في الحكم، واستمر هذاالوضع بين سلاطين المماليك إلى (923هـ/1507م).

على ما يبدو فإن مَن كتبوا في الأحكام السلطانية من العرب والمسلمين كانوا خاضعين لحاكم البلاد، ويتملقون له، فكتبوا يفضلون نظام الحكم الذي يكون عليه وضع البلاد تَملقاً، فالماوردي تحدث عن الخلافة فقط، والطرطوشي تكلم عن السلطان أو الملك فقط.

يرى ابن النفيس أن الحاكم يجب أن يتبع سياسة التَسلط والإكراه، فالملك حسب رأيه يجب أن يكون مشهوراً بين الناس بالسطو والقدرة والشهامة، ويجب أن يكون في نظر جميع الناس مهيباً مُخَوفاً، فلذلك يجب أن يكون جميع هؤلاء حَسِني الطاعة له، وأن ينقادوا لأوامره، خائفين من سطوته، ويجب وأن تكون معاملتهم في الظاهر على أجود الوجوه وأتمها، ولا يهم كيف يكون الداخل.[3]

لا يفوت ابن النفيس أن يؤكد إكراه الدولة في أخذ الأموال من الأهالي إذا دخلت الدولة في حرب تعبيراً على قهر السلطان وفرض طاعة الرعية له، ويبرر أنه إجراء لحفظ البلاد ودوام الاستقرار، فإذا ما زاد عدد الجيوش فلابد أن تزداد الضرائب على الرعية التي لا يكون لها

1-ابن النفيس- ص 216.
2 -يوسف زيدان- حي بن يقظان- ص 129.
3 -ابن النفيس- ص 232.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

اختيار في الأمر وحتى إن عجزت عن الدفع لفقرها، فالأهم في ذلك هو حفظ البلاد.[1]

يشترط ابن النفيس على السلطان أن يكون قوياً شجاعاً حتى يكون بإمكانه أن يتغلب على جيش كامل بمفرده، وهذه مبالغة كبيرة منه لأنه يعلم أن هذا الأمر مستحيل، ويجب أن يكون الحاكم حسب رأيه، قاسياً عنيفاً حتى يصدر العقوبات، ويطبيقها على الرعيّة كالحد وقطع الأطراف والصلب والتسمير، فابن النفيس هنا عبر عن قسوته أيضاً حينما يتغنى بقساوة السلطان، والذي بدون شك كان يعني الظاهر بيبرس ومجموع المماليك الذين كانوا يحكمون مصر.[2]

لقد تحدث أرسطو عن نظرية إكراه الدولة من قبلُ، وذكر أنه على الكائن الحيّ ويقصد الإنسان أن يعلم بوجود سلطة تشبه سلطة السيّد وسلطة الحاكم معاً، فالنفس تتسلط على البدن كسيّد على عبده، والعقل يتسلط على الغرائز كالحاكم والملك.[3]

ويضيف أرسطو أيضا أن الأمر والطاعة توجد في كل الجموع، وهذا الأمر طبيعي فرضه الطبع في كل الكائنات الحيّة.[4]

يختصر أرسطو ويذكر أن أمر التسلط قانون يجب أن يسود بين الناس، فمن الخطأ أن يتصور كل مواطن أنه سيّد نفه، فجميع الناس يجب أن ترجع لقانون الدولة ماداموا تابعين لها.[5]

لقد نبه ابن ظفر لخطورة لُيونة السلطان في معاملة الرعيّة، وعرض منذراً ما وقع للخليفة عثمان بن عفان حينما ثار الناس عليه وحاصروه في بيته حيث تساءل عن سبب ما آل إليه الوضع، فقال له رجل من الأنصار: "أنا أخبرك يا أمير المؤمنين، إنك تطأطأت (أي تواضعت كثيراً) لهم فركبوك، وتخادعت لهم فسلبوك، وما جرأهم على ظلمك إلا إفراط حُلمك" ثم قال عثمان للرجل: "أتعلم ما يثير الفتن؟" قال: "نعم يا أمير المؤمنين، إن الفتنة يُثيرها أمران أحدهما الأثرة تضغن الحامة

1 -نفسه- ص 228.
2 -نفسه- ص 230.
3- أرسطو- ص 105.
4- نفسه- ص 104.
5- نفسه- ص 302.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

(تفضيل ناس دون ناس ومنحهم الوظائف والعطاء دون مَنْ يستحقها). والثاني حلم يجرء العامة".[1]

لقد تفنن ابن خلدون في دعم سياسة الإكراه فمِن بين ما قال إن طباع البشر حيوانية تميل للعدوانية والظلم، ولدفع العداوة بين بعضهم بعض يجب وجود وازع واحد يكون له الغلبة، وهو السلطان القاهر، وهذا هو معنى الملك.[2]

يواصل ابن خلدون في عرض حُججه للإقناع بإكراه الدولة ويذكر أن الإنسان مُيز عن سائر المخلوقات بالعقل والعلم والصنائع لذلك وَجب وجود حاكم وازع، وسلطان قاهر متسلط، إذْ لا يُمكن وجوده واستمراره دون ذلك.[3]

يتحدث ابن الطقطقا أيضاً عن تفضيل الحاكم القاهر ويذكر أن الناس اختلفوا في مَنْ الأفضل: الملك القاهر العسوف الظالم، أو الملك المقتصد العدل الضعيف، ففضلوا الملك القاهر الذي يحمي غيره بقهره من شر جميع الناس، ويكف أطماعهم، فتكفي الرعية شر جميع الناس وتُبتلى بشر واحد فقط الذي هو الملك، أما الضعيف فيجعل الرعية تتسلط على بعضها بعض وتُبتلى بالجميع ولا تكفى بشر واحد فقط الذي هو الملك الضعيف.[4]

يرى ابن النفيس أن سياسة الدولة يجب أن تكون توسعية وعلى الملك أن يقاتل جميع مَن يتمكن من مقاتلته من جيرانه، ولذلك فالسلطان عند ابن النفيس يقضي كل وقته في قتال الكفار، ويكون في حركية دائمة من أجل ذلك، وعليه إنْ لا يتمكن من قتالهم تخويفهم المستمر وإقلاقهم ليظهر لهم مدى قوته وشجاعته.[5]

يرى ابن النفيس الوزير ضرورة للملك الذي يحتاج دائما إلى مَن يخلفه ويقوم مقامه فيها عند ابتعاده الدائم عن المملكة ليحارب، ويعطي شروطاً للوزير، وهي أن يكون شديد البأس وشهما وجيد التدبير ومهيبا مطيعا حتى لا يختل توازن المملكة بسبب غياب الملك، كما يجب أن يتمسك بأحكام الشرع، وأيضاً يجب أن يكون له فكر اللطف وحسن التأني في أخذ

1 -جهيدة بوجمعة- الفكر السياسي عند ابن ظفر الصقلي المكي الحموي (497-565هـ/1104-1170) - مجلة عصور جديدة- جامعة وهران 1 مجلد 12- العدد 1 ماي 2022/1443.

2- المقدمة- ص 78.

3- نفسه- ص 74.

4 -ابن الطقطقا محمد بن علي بن طباطبا- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية- دار صادر- بيروت- د. ت- ص 66.

5- نفسه.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الضرائب، ويجب أن تكون عنده من الرقة والرحمة يعادل ما عنده من السطو والقوة، ويختصر كل هذه الشروط قائلا أن الوزير يجب أن يتمكن من إرضاء السلطان، والله سبحانه وتعالى، وإرضاء الجنود والرعية.[1]

الواقع أن الوزارة هي أهم ما في الخطط السلطانية، وهذا ما عبر عليه ابن خلدون فقال أن الوزارة تُعد أم الخطط السلطانية على الإطلاق، كما تُعد أم الرُتب الملوكية، ويدل اسمها على منتهى المعاونة والمؤازرة.[2]

لا شك أن ابن النفيس قصد هنا وزارة التفويض التي يكون فيها الوزير حراً في أخذ القرارات وتنفيذها، وخاصة أن الملك الشجاع الذي يعنيه كان دائما خارج بلاده في حروب لا متناهية، ولم يقصد وزارة التنفيذ التي يكون فيها الوزير منفذاً لأوامر الحاكم فقط، وهذا التمييز بين الوزارتين جاء عند الماوردي الذي ذكر أن الوزارة نوعان، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ، أما وزارة تنفيذ فهي أن يستشير الوزير الإمام في كل ما يقوم به، ولا يكون حراً في أخذ قراراته، وأما وزارة التفويض فهي أن يكون للوزير حرية في أخذ القرارات وتنفيذها دون العودة للخليفة أو السلطان.[3]

يطالب ابن النفيس أن تكون الدولة دينية، فيجب أن يكون الملك والوزير والشعب على دين وإلا يعاقبهم الله بسخطه فيصير أهلها مستحقين للقتل كالذين كانوا بجوارهم، فيكون ذلك لتسليط أولئك الكفار على تلك البلاد، ويسخط الأجناد وحفدة (الخدم والأعوان) السلطان، وتخرج الرعية عن حسن الطاعة.[4]

عقوبة الله عند ابن النفيس لا تكون عقوبة طبيعية كالخسف والطوفان ونحو ذلك مما يدل على شدة غضب الله، فالعقوبات الطبيعية تنافي عظمة الرسول ﷺ، والمكانة التي جعله الله فيها، لذلك تكون العقوبة بسفك العدو لدماء المسلمين وقتلهم[5]، ويرى أن هذه العقوبة تحمي شرف المسلمين الذين هم لا شك مبجلين عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك على المسلمين طاعة

1 -نفسه- ص 235.
2 -المقدمة، ص: 293.
3- الماوردي أبو الحسن-الأحكام السلطانية والولايات الدينية- تحقيق أحمد مبارك البغدادي- مكتبة ابن قتيبة- بغداد- 1989- ص: 30.
4-ابن النفيس- ص 235.
5 -نفسه- ص 223.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الله الصانع للمنتهى، إنه لا إله إلا هو[1]، وإنه "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".[2]

الخاتمة: لقد كتب ابن النفيس الرسالة الكاملية في السيرة النبوية رداً على ابن سينا الذي يرى أن العقل وحده قادرٌ على الوصول إلى الله، ولا يحتاج إلى رسول من عنده، فهو يرى ضرورة وجود الرسول ليُبلغ الناس بشرع الله، وليعرفهم بجلاله وسائر صفاته، وليعرفهم بما هو مُعدٌ لهم في الدار الآخرة، فالرسالة جاءت في علم الكلام لتدافع عن الرسول ﷺ لكنها حُبكت بقصة "كامل" التي يرويها فاضل بن ناطق، وكانت قد عُرفت عند ابن سينا وغيره بحي بن يقضان.

لم تكن الرسالة الكاملية في السيرة النبوية بنفس جوده ما كان قد كتب ابن النفيس في الطب والعلوم التي كان يتبع فيها الشك للوصول إلى تلك النتائج الخارقة، بل كان يحاول الإقناع والدفاع عن الرسول ﷺ فحسب. فجاء فكره السياسي إسلامياً محضاً معبراً عن إيمانه الذي لا يتزعزع، ورجائه في أن يسود، متأثراً بالحقبة الزمنية المضطربة والمخيفة التي كان يعيشها المسلمون ما بين هجوم التتار والحروب الصليبية المشتعلة.

لم يأت ابن النفيس بنظريات جديدة في الفكر السياسي الذي لا يختلف عما جاء به المفكرون السياسيون العرب والمسلمون في مصنفاتهم في الأحكام السلطانية التي كانت تجتر نفس الأفكار في الغالب، وتقف مع الحاكم كلية ولا تتحدث إلا على واجبات الرعيّة في طاعة الحاكم وتقديم الضرائب والدفاع عن البلد.

لم يظهر ابن النفيس بشخصية ذلك العالم المنطقي الموضوعي والباحث الحُر كما كان يظهر في بحوثه العلمية، بل ظهر مقيداً متملقاً مداهناً للظاهر بيبرس، فلقد أدرك أن البحث في العلوم لا قيود فيه، أما البحث في الفكر السياسي فطريقه خطر وضيق قد يُنهيه عند أول خطوة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
أرسطوطاليس-السياسة-ترجمة أحمد لطفي السيد-منشورات الجمل-بيروت-2009.
أفلاطون-الجمهورية-ترجمة حنا خباز-مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع القاهرة-2007.
بركات محمد مراد-ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية-دار كتب عربية للنشر-مصر-د. ت.

1-نفسه- ص 193.
2- الشورى- آية 11.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- دار الكتب المصرية-القاهرة-1938.
الجاحظ أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناني-التاج فيأخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا- المطبعة الأهلية-القاهرة-1913.
ابن خلدون عبد الرحمان-المقدمة-مطبعة دار القلم-تونس-1984.
الرازي محمد بن زكريا-أخلاق الطبيب-تقديم وتحقيق عبد اللطيف محمد العبد-دار التراث-القاهرة-1977.
السبكي تاج الدين- طبقات الشافعية الكبرى- المطبعة الحسينية- مصر- 1224هـ.
الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي- سراج الملوك- حققه وضبطه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحي أبو بكر- تقديم يوسف ضيف- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- 1994.
ابن طقطقا محمد بن علي بن طباطبا- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية- دار صادر- بيروت- د. ت.
ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الله-شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب-مكتبة القدس الأزهر-القاهرة-1351هـ.
ابن كثير أبو الفداء الحافظ- البداية والنهاية- مطبعة السعادة- القاهرة- 1358.
العمري شهاب الدين- مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار- مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 99 م تاريخ- ج7.
عيسى أحمد بك- معجم الأطباء من سنة 650 هـ إلى يومنا هذا- مطبعة فتح الله إلياس توربي- القاهرة- 1942.
غليونجي بول- ابن النفيس طليعة العهد العلمي في الطب- وزارة الإعلام الكويتية- الكويت- د. ت.
غليونجي بول- قطوف من تاريخ الطب- دار المعارف بمصر- القاهرة- 1986.
الفارابي أبو نصر محمد الفارابي- الألفاظ الافلاطونية وتقويم السياسة الملوكية والأخلاق الأفلاطونيات- صورة فوتوغرافية لمخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم: 20.
الماوردي أبو الحسن- الأحكام السلطانية والولايات الدينية- تحقيق أحمد مبارك البغدادي- مكتبة ابن قتيبة- بغداد-1989
المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي- التنبيه والأشراف- عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصادق- دار الصاوي للطبع والنشر- القاهرة- د ت.
المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين علي- مروج الذهب ومعادن الجوهر- مؤسسة دار الهجرة- بيروت- 1965.
ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي- الرسائل الكاملية في السيرة النبوية- تعليق وتحقيق عبد المنعم عمر- مراجعة أحمد عبد المجيد هريدي- وزارة الأوقاف المصرية القاهرة- 1987
النعيمي عبد القادر الدمشقي- الدارس في تاريخ المدارس- إعداد وتقديم محمد النهار- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق- 2014.
يوسف زيدان- إعادة اكتشاف ابن النفيس- دار النهضة المصرية- القاهرة- 1999.
يوسف زيدان- حي بن يقظان الأربعة ومبدعوها- دار الأمين- القاهرة- 1989.